تصدير

بقلم د. عاطف العراقى

هـذا الكتاب من حيث موضوعه، يعد مـن الكتب المهمة فى مجال الفكر الفلسفى الإسلامى. وقد بذل فيه باحثنا الدكتور مجدى رياض جهدا واضحًا وخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار كثرة الدراسات التى تناولت فكر ابن تيمية فى العديد من البلدان العربية والإسـلامية والأوروبية، بالإضافة إلى الاختلافات العديدة من جانب عشرات الدارسين والمؤلفين حول فكر ابن تيمية، ليس فى زماننا الحاضر فحسب، بل منذ قرون عديدة فكم أثارت آراؤه الجدل والحوار والاتفاق معها تارة والاختلاف تارة أخرى.

هـذا إن دلنا على شـىء، فإنما يدلنا وبالدرجـة الأولى على ثراء فكر ابن تيميـة، وأن فكـره يعد ثريا ومتحركًا، وليس من نوع الفكر السـاكن والمغلق حول نفسه.

نقول هذا وبصرف النظر عن اختلافنا مع ابن تيمية سواء من حيث المنهج الذى ارتضاه لنفسه، أم من حيث الآراء التى ذهب إليها فى العديد من كتبه ورسـائله أم فى العديد من الفتاوى التى ذهب إليها. إن فكر ابن تيمية يعد فكرًا باقيًا ومسـتمرا ودليلنا على ذلك مئات الدراسـات التى صدرت عن هذا الرجل وعن أفكاره. وهذه الدراسـات لا تعد بالضـرورة قائمة على الخلاف مع هذا الرجل. بل منها ما يقوم على أسـاس الدفاع عن كثير من الآراء التى ذهب إليها.

من هنا كانت سعادتنا حين أقدم الدكتور مجدى رياض على دراسة موضوع الوحدانية عند ابن تيمية، فإنه موضوع - كما أشرنا - يعد على درجة كبيرة من الأهمية ودراسته ستؤدى إلى الكشف عن جانب من الآراء التى ذهب إليها ابن تيمية وخاصة أن ابن تيمية كان غزير الكتابة والتأليف. لقد ترك لنا آلاف الصفحات والتى تضمنتها كتبه ورسائله والتى لا حصر لها، وهى جديرة بالدراسة فى كل زمان وكل مكان، ولم لا؟ والاختلاف عادة من طبيعة الفلسفة والتفلسف، كما أنها تكشف عن فكر مفتوح وليس عن فكر منغلق على نفسه.

وقد قسم الدكتور مجدى رياض دراسته، والتى يقدمها اليوم للطبع والنشر إلى مجموعة من الفصول والأبواب، والتى تتضمن العديد من العناصر والأقسام والنقاط والجزئيات، وقد نجح فى الربط بين موضوع كل باب وكل فصل، والعناصر التى قام بدراستها داخل إطار كل باب وكل فصل من فصول كتابه، وهذا يدلنا على أن باحثنا استطاع التوصل إلى فهم آراء شيخ الإسلام ابن تيمية، فهمًا جيدًا.

ونظرًا لأن دراسة آراء كل مفكر لا يمكن فهم حقيقتها وسبر أغوارها إلا بدراسة ظروف البيئية التى عاش فيها هذا المفكر أو ذاك من المفكرين فى كل زمان وفى كل مكان، فقد حاول المؤلف دراسة نشأة ابن تيمية وثقافته وتأثير الظروف السياسية فيه وتكوينه الفكرى وشيوخه وسماته الشخصية والثقافية، مع الإشارة إلى بعض مؤلفاته وإنتاجه العلمى والفكرى، كما أشار إلى المحن التى واجهها ابن تيمية حتى وفاته. وقد اجتهد المؤلف فى دراسته لهذه الجوانب، كما كانت له شخصيته فى البحث والدراسة، ودليلنا على ذلك أنه يلجأ إلى المناقشة والمقارنة والموازنة بين العديد من الآراء التى قيلت

حـول هذه الجوانب الخاصة باين تيمية، وهذا يعد شـيئًا متوقعًا من جانب المؤلف، وخاصة أننا نجد - وكما سـبق أن أشـرنا - العديد من الآراء حول الرجل وفكره والتى إذا اتفقت تارة، فإنها سرعان ما تختلف تارة أخرى.

وقد انتقل باحثنا ومؤلفنا من دراسـة الحياة الاجتماعية والفردية الخاصة بابـن تيمية إلى دراسـة منهج الرجل فى مجال مذهبه فـى الوحدانية، وهو الموضوع الرئيسـى لكتابه وذلك حين تحدث الدكتور مجدى رياض عن التزام شيخ الإسلام بالكتاب والسنة، وعن دور العقل عنده، وفكرة التأويل عند ابن تيمية، وأيضًا موقفه من القياس، منتقلاً من ذلك إلى دراسـة الجانب النقدى عند شيخ الإسلام ابن تيمية، كنقده لعلم الكلام والفلاسفة وأهل التصوف.

وكل هذا يعد جانبًا من جوانب فكر ابن تيمية، وهو الجانب النقدى، أى موقفه من الآراء التى قيلت، والمذاهب الفكرية التى تصدى لها، أما الجوانب الإيجابية عند ابن تيمية - أى الآراء التى قال بها شـيخ الإسـلام - فقد قام الباحث بدراسـتها من خلال عدة فصول مـن فصول كتابه فقد درس المؤلف موضـوع الأدلة على وجود الله تعالى التى ذهـب إليها ابن تيمية، وكيف أن ابن تيمية عـوَّل بالدرجة الأولى على الأدلة القرآنية وذلك طبقًا لمنهجه الذى ارتضاه لنفسه.

أما موضوع الصفات الإلهية، وعلى رأسـها صفة الوحدانية لله تعالى، فقد خصـص لها الباحث أكثر صفحـات كتابه، وغير خـاف علينا أن مفكرى الإسـلام والعرب، إذا كانوا قد اهتمـوا بموضوع الصفات، الصفات الإلهية، إلا إن تركيزهـم كان بالدرجـة الأولى علـى صفة الوحدانيـة. نجد هذا عند المتكلمين من أمثال المعتزلة والأشـاعرة، وليس أدل على ذلك من أن المعتزلة - على سـبيل المثال - إذا كانوا قد قالوا بالأصول الخمسة، التوحيد والعدل

والوعـد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين، والأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر، إلا إن تركيزهم كان بالدرجة الأولى على صفتى التوحيد والعدل، فهما قد تفرع عنهمـا العديد من الفروع المهمة كالذات والصفـات والرؤية والقضاء والقدر.. إلى آخر هذه الجوانب والمشكلات التى اهتم بها دارسو الفكر الإسلامى. وهذا يقال أيضًا على الفلاسفة وعلى الصوفية، وأعلى مقام عند الصوفية، هو مقام التوحيد والعرفان.

من هنـا كان منطقيًا أن يركز باحثنا على موضوع الوحدانية بصفة خاصة وذلك فى دراسـته عن ابن تيمية. لقد درسـها من كافـة الزوايا والمجالات والأبعـاد معتمدًا فى ذلـك على العديد من المصادر والمراجع المهمة. لقد درس باحثنا أدلة القرآن الكريم على وحدانية الله تعالى، وتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبيـة عند ابن تيميـة، ونقده للصوفيـة وللمتكلمين والفلاسـفة فى هذا المجال، مجال التوحيد، وهو الموضوع الرئيسى للكتاب.

محـور الكتاب – إذن – هو تحليل أبعاد الوحدانية عند ابن تيمية وذلك من خلال كتاباته ورسائله وكتبه، كتب ابن تيمية.

وكان باحثنا أمينًا فى دراسته، وذلك حين قدم لنا ثبتًا بالمصادر والمراجع التى اعتمد عليها فى بحثه ودراسته لموضوع الوحدانية عند ابن تيمية، وذلك حتى يمكن للباحثين والدارسين فى مستقبل أيامنا دراسة المزيد من تحليلات ابن تيمية لموضوع الوحدانية، ودراسته لمجموعة المسائل الأخرى التى تتعلق بالوحدانية من قريب أو من بعيد.

لقد بذل باحثنا الدكتور مجدى رياض جهدًا واضحًا فى دراسته، ونقول، ونكرر القول بأن الاختلاف فى الرأى من طبيعة الفكر، والفلسفة والتفلسف، بل من أهم خصائص الفكر البشرى الفلسفى، وإذا كنا لا نجد ورقة من أوراق

الشـجر تتطابق تمام المطابقة مع ورقـة أخرى، ولا نجد بصمة من البصمات تتطابـق تمامًا مع بصمة أخرى من بصمات بنى الإنسـان فى كل زمان وكل مكان، فإنه من الضرورى إذن، ومن المنطقى، ومن المتوقع، أن تختلف الآراء وتتعدد وتتنوع فى مجال الفكر البشـرى عامة، وما تعلق منه بالفلسـفة على وجـه الخصوص. نقول هذا حتى نبرر اختلافنا مـع المؤلف فى بعض الآراء التى ذهب إليها.

إننـا نقدر للدكتور مجدى رياض تصديه لدراسـة هـذا الموضوع المهم من الموضوعـات التى تدخل دخولاً مباشـرًا فى مجال الاهتمـام بفكر ابن تيمية وخاصـة أن مؤلفنا كان له وجهة نظره، كما أنه قدم لنا قائمة بعض مؤلفات ابن تيمية وبعض الدراسات التى اهتمت بفكره من قريب أو من بعيد. ونرجو لباحثنـا الدكتور مجدى رياض كل توفيق فى دراسـاته القادمة، فهو باحث يستحق كل ثناء وكل تقدير.

والله هو الموفق للسداد

عاطف العراقى

مقدمـــة

الوحدانية هى رأس العقيدة وقمتها وهى أعلى وأهم جزء فى عقيدة المسلم، فهى الشق الأول من الشهادة، والشهادة هى الركن الأول فى الإسلام، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُنى الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسـول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت»[1].

وما من نبى أرسـله الله سـبحانه وتعالى إلا أرسله بالوحدانية وشهادة أن لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[2].

وقـال تعالى لنبيـه صلى الله عليـه وسـلم: ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾[3].

وكلمـة لا إله إلا الله هى أفضل كلمة قالها الأنبياء لأممهم، يقول رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[4].

---

(١) السـيد سـابق - فقه السـنة - الجزء الثالث، مكتبة الآداب - الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٦ هـ، ص٢٠٧ والحديث رواه البخارى ومسلم.

(٢) سورة الأنبياء - الآية ٢٥.

(٣) سورة الأنبياء - الآية ١٠٨.

(٤) ابـن عطاء الله السـكندرى - الله القصد المجرد فى معرفة الاسـم المفـرد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ص ١٠، والحديث رواه الإمام أحمد والترمذى.

فكلمة لا إله إلا الله وهى كلمة التوحيد تُخرج قائلها من معسكر الكفر والإلحاد والشرك إلى معسكر الإيمان والتوحيد والإخلاص، فهى التى تميز المسلم عن الكافر وتميز الموحد عن المشرك.

وتبدأ الكلمة بحرف نفى «لا» فتنفى جميع الآلهة عدا إله واحد هو الحى الذى لا يموت، وتبدأ الجملة بالنفى وذلك لتفريغ القلب مما سوى الله ثم الاستعداد للامتلاء بنور الله تعالى وتوحيده.

ولذلك فإن موضوع «الوحدانية» هو أهم الموضوعات الذى يهتم به كل إنسان مسلم عامة، ويهتم ببحثه ودراسته الباحثون والمفكرون على وجه الخصوص.

ومن أمثلة تلك الدراسات عن الوحدانية «الله القصد المجرد فى معرفة الاسم المفرد» لابن عطاء الله السكندرى، و .. معنى لا إله إلا الله «للزركشى»، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأيضاً «رسالة التوحيد» للإمام محمد عبده.

ونجد عصر شيخ الإسلام ابن تيمية يمتلئ بالبدع والمنكرات وأهل الشعوذة من الصوفية، واتجاه الناس للتوسل بغير الله سبحانه وتعالى، مما جعل شيخ الإسلام ابن تيمية يتصدى لكل هذه البدع التى انتشرت فى عصره.

وموضوع «الوحدانية عند ابن تيمية» هو موضوع مهم بحث فيه شيخ الإسلام ابن تيمية وتطرق إليه سواء فى نقده لسابقيه من علماء الكلام والفلاسفة والمتصوفة أم أهل الديانات الأخرى مثل المسيحية، أم من خلال آرائه فى وحدانية الأسماء والصفات وأدلته على وجود الله سبحانه وتعالى أم آرائه فى التوحيد وتفرقته بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وعدم التوسل بغير الله سبحانه وتعالى وأدلته على وحدانية الله سبحانه وتعالى.

وقد اهتم شيخ الإسلام ابن تيمية بعقيدة المسلم الصحيحة فكتب فى هذا المجال مؤلفات كثيرة يجيب فيها عن أسئلة الناس فى هذا المجال، فكتب «العقيدة الواسطية» إلى أهل واسط، وشرح «العقيدة الأصفهانية» يشرح فيها العقيدة الأصفهانية لأهل أصفهان، وكذلك كتاب «التوحيد».

وقد التزم شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاباته عن الوحدانية كما التزم فى جميع كتاباته بالقرآن والسنة، فنجده دائماً يستشهد بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم، هذا إلى جانب التزامه بالمنهج العقلى وإن كان العقل عنده تابعاً للنقل من الكتاب والسنة، وهذا لا يعيب العقل حتى لا يخرج عن دائرة الدين الصحيح.

وقد تناول كثير من الباحثين جوانب من فكر ابن تيمية مثل: التأويل عند ابن تيمية والأخلاق عند ابن تيمية وموقف ابن تيمية من الصوفية، ولكننا نجد أن موضوع «الوحدانية عند ابن تيمية» يعتبر موضوعاً مهماً وموضوعاً جديداً، حيث لم يتناوله الباحثون بهذا الشرح والتفصيل.

والمنهج الذى يسير عليه الكتاب هو المنهج التاريخى التحليلى النقدى المقارن، فهو تاريخى لأنه تناول حقبة تاريخية دينية فكرية كان لشيخ الإسلام ابن تيمية دور بارز فيها، وهو تحليلى حيث أقوم بتحليل نصوص ابن تيمية الدينية الفكرية حول موضوع الوحدانية ومقارنته بكل من عاصره من المفكرين وبتأثيره فيمن جاء بعده، وهو نقدى مقارن لأن شيخ الإسلام ابن تيمية قام بنقد آراء المفكرين الذين عارضوه فى أفكاره، سواء كان هؤلاء المفكرين من الفلاسفة أم من علماء الكلام مثل: المعتزلة والأشاعرة أم من الصوفية، ثم بعد ذلك قيامى بنقد آراء شيخ الإسلام ابن تيمية أو المذاهب الأخرى التى قام بنقدها شيخ الإسلام. وقد قمت بوضع بعض الفروض

للكتاب حيث حاولت الإجابة عنها من خلال فصول الكتاب مثل:

١ – تأثير حياة شيخ الإسلام ابن تيمية فى فكره.

٢ – المنهج الذى سار عليه شيخ الإسلام ابن تيمية فى موضوع الوحدانية والتزامه بالكتاب والسنة.

٣ – التزامه بالمنهج العقلى فى كتاباته عن الوحدانية.

٤ – أدلة شيخ الإسلام ابن تيمية على وجود الله سبحانه وتعالى وعلى الوحدانية.

٥ – تأثر شيخ الإسلام ابن تيمية بشيوخه السابقين وتأثيره فيمن عاصره أو جاء بعده من المفكرين.

□□□